ثقافي

لا موقعَ أردنياً حتى الآن

المواقع الثقافية العربية: انغلاق في واقع مفتوح

خالد أبو الخير

◄ «جـدار، ليس مرمى لنفايات الكتابة. ننصح الكتاب السوريين الـذيـن يكتبون النفايات، أن يتوجهوا إلى صحيفة (الأسبوع الأدبـي)، أو ملحق (الثورة) الثقافي». بهذه العبارة الصادمة استهل موقع «جدار» الثقافي السوري المستقل، تعبيره عن ثورته الرقمية على الثقافة الرسمية المسيطرة.

«جهة الشعر»، «كيكا»، «أوكسجين»، «القصة العربية»، «دروب»، «شـروق»، «الـروائـي»، «ديـوان العرب» و«البوتقة»، مواقع ثقافية تستقطب، هي وغيرها، كتّاباً من الشباب لا يجمعهم تيار ثقافي، بقدر ما يجمعهم الشعور بالظلم والحاجة لخلق واقع يحققون فيه ذواتهم، في وقت تُغلق فيه أمامهم أبـواب المجلات والملاحق الثقافية في الصحف الرسمية وشبه الرسمية، التي تسيطر عليها الشللية، ويقتصر النشر فيها على فئة ثقافية معينة، وفقاً لهؤلاء الكتّاب.

مَثّلت شبكة الإنترنت فرصة مواتية لإطلاق ثقافة عربية متحررة من القيود، لكن في خضم الاتساع الهائل للشبكة، وتعدد الخيارات أمام القراء، وافتقار القارئ للثقافة، لم تنجح هذه المواقع في تأكيد حضورها، فكثيرٌ منها يعاني من مشاكل، أبرزها الافتقار إلى مادة خاصة بها إلا في ما ندر، إذ تقوم هذه المواقع بإعادة نشر مواد سبق نشرها في صحف ورقية، فضلاً عن افتقارها للصلة بعضها ببعض، الأمر الذي يدفعها للظهور بمظهر المنغلق في عالم افتراضي مفتوح.

يُرجع عضو اتحاد كتاب الإنترنت العرب، أحمد النعيمي، ضعف هذه المواقع، إلى أنها «ذات طابع شخصي، فقد أسسها أفراد وليس مؤسسات مستقلة أو حكومية، لذلك يغلب التعثر على أدائها».

وعلى خـلاف المواقع الثقافية الغربية التي تنشر موادها الخاصة، وتحتفي بقرائها بنشر موادهم ومدوناتهم، إلى جانب موادها ومقالات كتابها، تستمرئ المواقع العربية لعبة النقل من الصحف والمجلات الورقية، وتحصر النشر في أدباء نالوا شهرتهم من الصحافة الورقية، مع استثناءات قليلة، وبذلك فإنها تفتقر للطموح بالتغيير. فضلا عن أن ضعف حماية هذه المواقع يعوق نمو التجارة الإلكترونية في الشرق الأوسط بعامة.

أزمـة النشر دعـت أدبـاء ومثقفين إلى إنشاء مدونات أو مواقع لهم على الشبكة، كما هي الحال مع مدونة محمد عمر (الأردن)، وموقع الشاعر عبد الرزاق الربيعي (العراق)؛ أو النشر عبر إطلاق نسخ إلكترونية «سي دي»، محملة على الإنـتـرنـت أيـضـاً، من أعمالهم الأدبـيـة، مثل قصة «صقيع»، للرئيس السابق لاتحاد كتاب الإنترنت العرب محمد سناجلة.

غير أن أدباء ومدونين حازوا شهرتهم من طريق العالم الافتراضي، توجهوا إلى نشر أعمالهم في صحف وكتب، ما دعا آخرين لإعلان «ثورة في الثورة»، ضد هذا التوجه. وهو ما دعا المدون المصري ممدوح رزق إلى عدّ ظاهرة تحوّل المدونين إلى كتّاب، ظاهرة عدائية وانحداراً لشكل أدنى من الكتابة. «عدائية لمن؟!.. للمدونين طبعا.. (الظاهرة) - كما أفهمها أو أشعر بها في هذه الجملة- هي إشارة لحدوث شيء غير طبيعي، لكنه يكتسب تأييداً متزايداً يحفّز استمراره.. حدوث أمر استثنائي يطمح لأن يكون عادياً، ما يجعله مثيراً للرفض وللجدل، أو على الأقل للاستفهام في أحسن الظروف.. (التحوّل) - أيضاً كما أفهمه أو أشعر به في هذه الجملة- هو إشارة لفوضى طبقية مفاجئة ومتواصلة أدت لانهيار النظام التقليدي المعروف عن التراتبية الأدبية في زمن ومكان ما.. سعي غير مفهوم وغير مقنع للارتقاء يمارسه شكل (أدنى) من الكتابة، طمعاً في اكتساب قيمة غير مستحقة».

يـرى النعيمي أنـه «مـن المفترض أن تشكل المواقع الثقافية ثورة ضد ما هو سائد من جانب الشباب المبدعين الذين عاصروا التجربة الرقمية أكثر من النشر الورقي، لكن هـؤلاء ينقسمون إلى فئتين، فمنهم من يبدو مقاتلاً يريد أن ينفي كل ما سبقه ويتحلل من الإنجازات الورقية السابقة، وفي هذا بالتأكيد شيء من الانغلاق والتطرف، ومثلهم مثل من يتساءل: لماذا لم يقتل الإنسان كل الخيول لحظة اكتشاف السيارة. أما الفئة الثانية فهي أكثر عقلانية، وترى أن مستقبل البشرية يتطور ويتغير بطبيعته، وأن اللاحق لا ينفي السابق. «المنجزات الإنسانية تراكمية، لكي توصلنا في نهاية المطاف إلى واقـع أفضل وإنسانية أجمل ورفاء مقبول».

خريطة عالم الإنترنت تخلو من موقع ثقافي أردني حتى الآن، فيما تزدهر مواقع ذات طبيعة إخبارية، عُـدَّت امتداداً للصحف الأسبوعية.

«معظم الصحف الـورقـيـة لها مواقع إلكترونية، فقد انتبهت إلى أن الزمن تخطّاها، وسعت إلى التأقلم مع الوضع الجديد. ولأن لهذه الصحف صفحات ومـلاحـق ثقافية، فقد بدا وكأنها قامت بالمهمة على طريقة (خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام)، لكن الأمر لا يمكن أن يكون كذلك، ولا يمكن أن يستمر على هذا النحو. إذ ينبغي تأسيس مواقع إلكترونية ثقافية خاصة لنشر الثقافة»، يقول النعيمي.

تأسس اتحاد كتاب الإنترنت العرب العام 2005، بهدف «نشر الوعي بالثقافة الرقمية في أوسـاط المثقفين والكتاب والإعلاميين العرب». ويسعى الاتحاد لـ«تحقيق قفزات نوعية فـي وعـي الشعب العربي بعامة، للالتحاق بركب الثورة الرقمية التي تجتاح العالم» بحسب البيان التأسيسي للاتحاد.

النعيمي يرفض فكرة أن الاتحاد نشأ نتيجة الشعور بالإقصاء من الصحافة الورقية. «أعضاء الاتحاد من الكتّاب المعروفين من خلال إنجازاتهم الورقية قبل الإلكترونية، لكنه نشأ لشعور بأن الزمن يتغير ويتبدل، ولا بد من التأقلم مع كل جديد».

نافذة لترجمة إبداع الشعوب عن الإنجليزية

هالة صلاح الدين حسين *

◄ لا تجد معظم المواقع الثقافية العربية دعماً من المؤسسات الحكومية أو الأهلية، فتضطر للجوء للإعلانات لتحقيق الأرباح. وهنا قد تفرض الشركات المعلنة أو الراعية أجندة معينة على محتويات المواقع، حتى إن إحـدى الشركات بلغت بها الجـرأة أن منعت موقعاً ما من نشر مواد، عدّتها مؤيدة لشركة أخرى منافسة.

ما زال القارئ عازفاً عن الاطلاع على المادة الثقافية عن طريق الإنترنت، فتنشأ مشكلة قلة الزوار، مما يتسبب في إفلاس بعض المواقع، وانهيارها بسرعة قياسية، أو على أقل تقدير تتصدرها مواد مبتذلة لا تخدم المشهد الثقافي العربي في شيء. كما أن كثيرين ينظرون إلى الإنترنت على أنه نفاية وسائل الإعـلام، فينشرون بين صفحاته مـواد قديمة رديئة المستوى، ينصرف القارئ عنها، ويفقد الثقة في المنشورات الإلكترونية.

وقد يطالع القارىء المقالة الواحدة في أكثر من موقع، وهذا ليس عيباً أو فضيحة، غير أن تكرار المواد إلى هذه الدرجة لا يحفظ للموقع أية خصوصية ثقافية، ولا ينم عن رسالة محددة يسعى القائمون لإيصالها للقارئ.

نحرص فـي موقعنا «البوتقة» على نشر أعمال لم تظهر بعد باللغة العربية، والتعامل مع مؤلفين لا تعرفهم العربية قط. فبالإضافة إلى الراحل بول بولز والمعاصر كازو إيشيجورو، لم يصدر من قبل أي عمل - ورقياً أو إلكترونياً - لمبدعي مجلتنا. وقد عملنا مؤخراً على نيل حقوق ترجمة تلك المواد ونشرها من دور النشر الأميركية والوكلاء الأدبيين. أمَّا الجانب الفني للمواقع الثقافية، فيشي تصميم أغلبها بـذوق مـتـواضـع. تصاميم الـمـواقـع لا تقل في أهميتها عن إخراج المنشورات الورقية فنياً. في المجمل الحسنة الوحيدة في المواقع الثقافية هي نسبة الحريات التي تستغلها بكفاءة، وكذلك انتشارها بدرجة كبيرة، مما يبشر بتحسن ملحوظ في العقود المقبلة. فالجيد سوف يزيح الرديء في النهاية.

الحرية المتاحة في المواقع الإلكترونية كـبـيـرة، وتـمـثـل الـمـواقـع بيئة ملائمة للمكبوتين والمكظومين من أمثالنا نحن العرب. النشر الورقي يتصدى بالمرصاد لـمـا يـصـنـف تـجـاوزات الـديـن والجنس والسياسة. دينياً وجنسياً لك أن تنشر ما يتراءى لك على شتى المواقع. قلما تُقْدم الحكومات على حجب مواقع ثقافية. أمَّا سياسياً فالأمر مختلف قليلاً: توخَ الحذر، ولا تعادي الأنظمة الحاكمة بفجاجة، ولا سيما بوثائق ومستندات، وإلا سيكون مصيرك الحجب الفوري! لا تضع مجلة «البوتقة» أية محظورات في تعاملها مع النصوص الأميركية: فالقصص التي تتناول المثلية في العدد الثالث مثيرة للجدل. لا تحتل المشاهد الجنسية مكاناً بارزاً في المجلة، هي مجرد صدفة. إلا أن المجلة لا تتردد عن تسمية الأسماء بأسمائها.

«البوتقة» هي الدورية الوحيدة في العالم العربي التي تترجم القصة القصيرة باللغة الإنجليزية على نحو منهجي ونظامي. تنصب غاية المجلة على عـرض مشهد غير منقوص للإبداع الإنجليزي المعاصر، دون إعلاء أسلوب من الأساليب فوق غيره. وتهتم اهتماماً خاصاً بأقلام تتناول قضايا إنسانية تكشف النقاب عن المحجوب من المعاناةالبشرية، أقلام تُعبّر عن مضطهَدين لا صوت لهم، وتبعث برسالة إلى القارئ عبر تجارب المبدعين الفنية.

لا تتكل المجلة، بأي شكل من الأشـكـال، في اختياراتها على ألـوان المساهمين أو أجناسهم أو أعـراقـهـم أو أديـانـهـم أو اتجاهاتهم الأيديولوجية. ولا تتبنى أيّ أجندة سياسية مهما كانت. لا مراء أن حركة الترجمة في الوطن العربي تتجاهل عن قصد أو عن غفلة،التعامل مع الأدب الأميركي الحديث. ومع «البوتقة» في عامها الثالث، وبعد ترجمة واحد وعشرين عدداً من دون دعم مالي أو طاقم عمل أو حتى سكرتيرة، نتوهم للحظات معدودة أننا نصنع شيئاً، وأننا قد نساهم في يوم من الأيام في تعديل جدار البشرية المائل! نرجسية؟ طبعاً. لكن من دون أن يخالجك إحساس بجدوى ما تصنعه، بخاصة مع استثمار الكثير من الوقت والجهد والمال.

كيف لك أن تستمر؟ نفخر بأننا قدمنا أربعة وأربعين اسماً من الأسماء اللامعة في المشهد الثقافي الأميركي، لا تعبيراً عن تلك القارة وحدها، بل تعبيراً عن الياباني والهندي والصيني والبوسني، وهـؤلاء القادمين من هاييتي وهـاواي وإيرلندا وإنجلترا لتسلط أعمالهم الضوء على أوطان خلفوها بحثاً عن حياة أفضل؟ أسوأ؟ أحياناً ما يجهلون هم أنفسهم الهدف.

ثمة دراسة حديثة استعانت بها صحيفة «ذا نيويورك تايمز» ترى أن الصحافة الورقية سوف تندثر في العالم بحلول العام 2122. أنا شخصياً لن أندم كثيراً على انهيارها، فبعد مضي قـرون من اختراع المطبعة، آن الأوان للتغيير. إيماني عميق بالوسائل التكنولوجية البديلة، وأعتقد أن طبع تلك الكميات المهولة من الورق يومياً من قِبل البشر، يهدد ثروة الأشجار في العالم أجمع. أخال الاعتماد على أجهزة الكمبيوتر أفضل بيئياً وأربح اقتصادياً لطبيعتها المعمرة، وإن بقيت مشكلة التخلص من نفاياتها قائمة في الدول النامية.

*** محررة مجلة "البوتقة" الإلكترونية**